Thème

إدوارد سعيد ونقد الاستشراق

يعتبر إدوارد سعيد الاستشراق هو أسلوب التفكير المستند إلى التمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب؛ أي أن الفكرة المحورية لكتاب "الاستشراق" تستند إلى فهم وتحليل وتفكيك هذه البنية الممثلة عن الشرق من قبل الغرب. وفي سبيل التمكن من هذه البنية، وتفكيكها، فإن إدوارد سعيد يتناول العديد من أصحاب التخصصات والأنشطة التي تدخل تحت مظلة هذا النشاط الواسع والعريض مثل الشعراء، والروائيين، والفلاسفة، والمنظرين السياسيين، والاقتصاديين، والإداريين الاستعماريين الذين يبنون أعمالهم وأنشطتهم على هذا التمييز المسبق بين ما هو شرقي وما هو غربي. ويرى سعيد بوجود ثلاثة معاني للاستشراق، المعنى الأكاديمي، والمعنى الخيالي، والمعني الخاص بهيمنة الغرب على الشرق، أى بالاستشراق بوصفه معرفة ملازمة للقوة الغربية وهيمنتها الاستعمارية. وفي هذا السياق يعتمد سعيد على كتابى فوكو، أركيولوجيا المعرفة، والنظام والعقاب، في تأسيس تحليل للخطاب الاستشراقي، وفهم أبعاده الاستعمارية المرتبطة بالقوة المادية وأشكالها الرمزية الاستعمارية. فالهدف الرئيسي عند سعيد هنا هو تحليل الاستشراق كخطاب، بحيث يمكن من خلال هذا التحليل معرفة الكيفية التي استطاعت من خلالها الثقافة الغربية أن تنتج وتستهلك وتقمع وتشكل وتمثل الشرق سياسيا، وسوسيولوجيا، وعسكريا، وأيديولوجيا، وعلميا، وتخيليا، في فترة ما بعد التنوير.

ويطرح خطاب الاستشراق في جوهره رغبة عارمة في إقصاء الآخر عقليا، وربما بيولوجيا، لكى يقر في النهاية بتبعيته للغرب، أو بشكل أكثر تحديدا لكى يتعامل مع استعلاء الغرب كجزء لا يتجزأ من طبيعية الحياة وقوانينها، فمثلما تدور الأرض حول الشمس بشكل تحدده القوانين المتعارف عليها لحركة الكواكب، يدور الآخر في فلك الغرب منضويا بقوة القوانين وطبيعية النواميس الحياتية؛ فخضوع الآخر للغرب ودونيته أمامه هى ، في التحليل الأخير، ووفقا لخطاب الاستشراق الاستعلائي ، مسألة عادية من قوانين الحياة اليومية، يجب تقبلها، بل يجب عدم الشعور بها، والعماء عن ملاحظتها.

ويركز إدوارد سعيد ليس على التوافق بين بنية الاستشراق والشرق ذاته، بقدر ما يركز على الاتساق والتماسك الداخلي للاستشراق وأفكاره عن الشرق .ولعل هذا الاتساق والتماسك الداخلي هو ما يؤكد وجود بنية مسبقة ومهيمنة عند المستشرقين لتناول الشرق ووصفه وصناعته، بغض النظر عن التحولات الفعلية والتاريخية التي يتعرض لها الشرق .ومن هنا فإن المستشرقين يتناولون الشرق كبنية جوهرية غير قابلة للتبدل والتغيير، إلا بما يسمح به هؤلاء المستشرقون.

صالح سليمان عبد العظيم، الحوار المتمدن، العدد:1368, 2005

-الكاتب: د. صالح سليمان عبد العظيم أستاذ جامعي متخصص في علم الاجتماع بجامعة عين شمس(مصر)

-ادوارد وديع سعيد (القدس، 1 نونبر 1935، نيويورك 25 شتنبر 2003) ناقد أدبي، مفكر ومثقف فلسطيني-أمريكي درس الأدب الانجليزي والأدب المقارن بجامعة كولومبيا بنيويورك منذ 1963 حتى مماته سنة 2003. يعد من أهم منظري أدب ما بعد الاستعمار. من أشهر مؤلفاته كتاب "الاستشراق"

(*Orientalism*) *L'Orientalisme. L'Orient créé par l'Occident* الصادر سنة 1978 و الذي تمت ترجمته الى الفرنسية سنة 1980 ضمن منشورات لوسوي. وكتاب "الثقافة و الامبريالية".